الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير

إعداد / هند بنت محمد بن زاهد سردار

جامعة أم القرى مكة

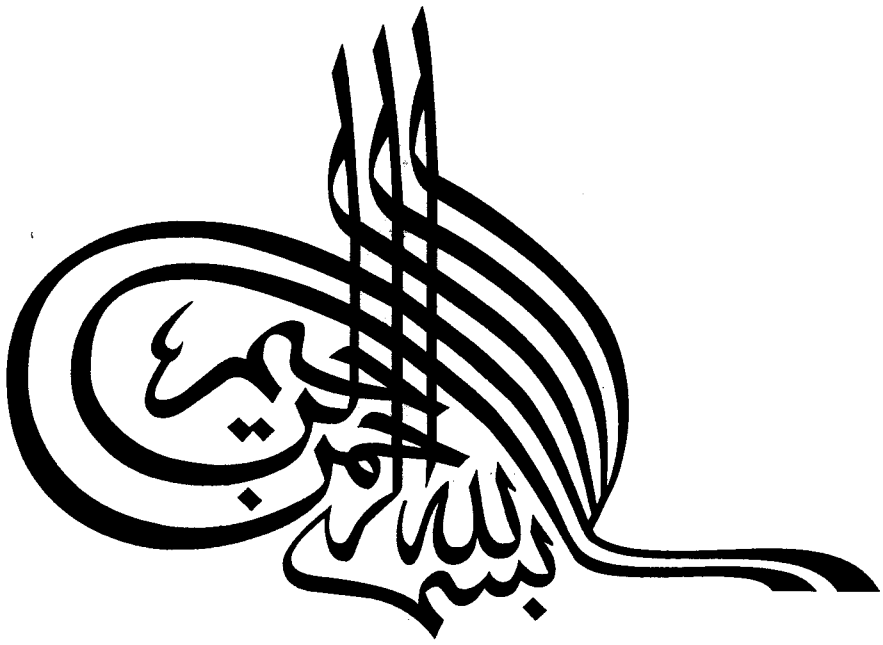
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فإن أعظم العلوم مقداراً ، وأرفعها شرفاً ومناراً ، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسها .

وكان من لطف الله بي أن سهَّل لي طريق العلم الشرعي ، والذي ما زلت أتتلمذُ تحت سقفه ، ومن تيسيره لي أن وقفت على هذه المخطوطة للراغب الأصفهاني في تفسير القرآن ، وهذا التفسير على قسمين : قسم محقق ، قام بتحقيقه الدكتور عادل الشدي من أول سورة الفاتحة وحتى نهاية الآية (١١٣) من سورة النساء ، وقد أكملت بقية هذا القسم .

وأما القسم الآخر من هذا المخطوط فهو مفقود تحت عنوان " تفسير الراغب الأصفهاني ، دراسة وتحقيقاً ، من الآية (١١٤) من سورة النساء وحتى نهاية سورة المائدة " ، ولهذا التفسير قيمة علمية عظيمة نابعة من مكانة مؤلفه ، وما عرف عنه من تبحره في علوم البلاغة والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان .

وهذا التفسير لا يقل أهمية عن كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) الذي لا يكاد يستغني عنه متخصص في التفسير وعلوم القرآن ، وقد توسع – رحمه الله – في استخدام هذه العلوم للتوصل من خلالها إلى فهم آي القرآن ، والاستدلال على مراد الله– سبحانه وتعالى – ، واستنباط بعض اللطائف التفسيرية التي لا تكاد توجد عند غيره من المفسرين بالرأي ، مدعمة بقوة حجته ، وسعة اطلاعه ، ورسوخ قدمه في علوم اللغة العربية . هذا بالإضافة إلى أن الاشتغال بمخطوط يتعلق بتفسير القرآن الكريم فرصة مباركة للنهل من علومه ، ومحاولة الانتظام في سلك أهله الذين هم أهل الله وخاصته ، وتلك أمنية كانت تراودني وكان لها دور كبير في اختياري لموضوع هذه الرسالة .

وتحتوي هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عصر الراغب الأصفهاني ونشأته . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : العصر الذي عاش فيه .

المطلب الثاني : ولادته ، ونشأته ، ووفاته .

المبحث الثاني : حياته العلمية . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شيوخه وتلاميذه .

المطلب الثاني : آثاره العلمية .

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه .

المبحث الثالث : كتابه " تفسير القرآن العظيم " . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صحة نسبة الكتاب وأهميته .

المطلب الثاني : منهجه في الكتاب .

واتضح من خلال تلك الدراسة أن الراغب لم يكن غرضه من هذا التفسير الانتصار لمذهبه، ولم يعرض بأحد ، فجاء تفسيره على هذا النحو المميز .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ من أهم الصعوبات التي واجهتها : خوض المؤلف في علوم شتى ، وعدم تقيده بتخصص محدد ؛ مما يستلزم الرجوع إلى كتب كل فن خاض فيه ، بالإضافة إلى كونها نسخة وحيدة .

وبعد : فهذا هو جُهد المقل ، وبضاعة المقصِّر ، وأسأل الله القبول والسداد والهدى والرشاد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * * * *

المبحث الأول : عصر الراغب الأصفهاني وحياته .

المطلب الأول : العصر الذي عاش فيه .

شهد القرن الرابع الهجري – وهو القرن الذي يُرجّح أن الراغب الأصفهاني ولد بعد مضي نصفه الأول – توالي ظهور الدويلات الصغيرة التي تنسلخ عن الخلافة العباسيّة مكرسة حالة الفرقة والانقسام التي أضعفت المسلمين سياسيّاً وعسكريّاً في ذلك العصر . وقد كانت العلاقات بين هذه الدويلات الناشئة متوترة وعدائيّة في الغالب ، وظهرت النـــزعات العسكريّة بين البويهيين والسامانيين[1] ، وبين السامانيين والغزنويين[2]، وبين البويهيين والحمدانيين[3] ، وهذا الأمر ولّد حالة من عدم الاستقرار السياسي ؛ فجعلت حكام هذه الدويلات يعملون السيف في الناس بالبطش والترهيب ؛ لتثبيت أركان حكمهم ، وردع الموالين لأعدائهم ؛ خوفاً من زوال سلطانهم ، واجتثاث كياناتهم .

وكانت أبرز هذه الدويلات : دولة بني بويه[4] التي تأسست سنة (٣٢٠هـــ) ، واستمرت في حكمها حتى سنة (٤٤٧هـــ) ، وسيطرت خلال هذه الفترة على بلاد فارس المترامية الأطراف ؛ ومنها : أصفهان التي ينتمي إليها الراغب الأصفهاني ؛ بل بلغ من قوتها أن أخضعت العراق وعاصمة الخلافة بغداد لسيطرتها في عام (٣٣٤هـــ) على يد معز الدولة بن بويه ، وأصبح الخليفة في بغداد مجرد رمز يتحكم فيه البويهيون ،وصار لحكام بني بويه القدرة على عزل الخليفة ؛ بل وتأديبه وسجنه إذا لزم الأمر .

وكان السلاجقة قبل ذلك قد استولوا على أصفهان والري وجرجان وطبرستان وخوارزم وأذربيجان[5].وفي ظل هذه الصراعات السياسيّة والعسكريّة في مناطق العراق وأصفهان وبلاد فارس، وتنازع هذه الدويلات مع بعضها البعض من جهة ، وتنازع ملوك هذه الدويلات وتطاحنهم على الحكم من جهة أخرى ، نشأ الراغب الأصفهاني في هذه البيئة غير المستقرة سياسياً .

وفي تلك الفترة انتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب ، ومصر ، والشام ، وديار بكر ، والكوفة ، والبصرة ، وبغداد ، وجميع العراق ، وبلاد خراسان ، وما ورواء النهر ، مع بلاد الحجاز ، واليمن ، والبحرين ، وكان الحكم لهم في أغلب هذه الأقاليم ؛ مما حدا ببعض الباحثين إلى تسمية القرن الرابع الهجري بـــ "عصر الحكم الرافضي".وقد عُرف البويهيون الذين عاش الراغب الأصفهاني

---

[1] انظر : الكامل لابن الأثير (١٠٨/٧) .

[2] انظر : الكامل (١٩٦/٧) ، والبداية والنهاية (٣٤٧/١١) .

[3] انظر : الكامل (١٠/٨) و (٩٢/٧) ، والبداية والنهاية (٢٢٦/١١) .

[4] وينتسب بنو بويه إلى بهرام جود الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك . انظر: البداية والنهاية (٢٢٦/١١) .

[5] انظر : الكامل (٣٠/٨و٣٣و٣٤و٥٤) ، والبداية والنهاية (٦٣/١٢/١١ و٥٤ و٦٦) .

في ظل حكمهم أكثر حياته بالتشيع لآل البيت ونصرة مذهب الرافضة ؛ حتى قال عنهم ابن كثير " وكلهم فيهم تشيّع ورفض "[1] .

وبالرغم من ذلك فإن الإضطرابات السياسيّة لم تؤثر على الحركة العلميّة في ذلك العصر – باستثناء اضطرار بعض العلماء والمفكرين إلى عدم الجهر برأيهم في بعض المذاهب التي يرون بطلانها بسبب اعتناق حكام تلك الأقاليم لها – ، وهكذا فقد انضمت إلى العراق مراكز أخرى للحياة العلمية والفكرية ؛ كمصر وبلاد الشام والمغرب والأندلس ، وتميز جنوب بلاد فارس ومنه أصبهان موطن الراغب التي كانت تسمى "عش العلماء" لكثرتهم فيها والرّي وخراسان وما وراء النهر بنهضة علمية قوية في ذلك العصر[2] .

وكان للبويهيين في العراق وبلاد فارس أثر كبير في النهضة العلمية في مجال التأليف والتدريس ، وكانت الريّ عاصمة للقسم الشمالي من بلاد فارس في العهد البويهي ، والذي يضم كرمان والري وهمذان وأصبهان – التي يُقال بأن الإسكندر بناها وأن أصلها بالفارسيّة شاهان أي مجمع العساكر . وقد شهد عصر الراغب الأصفهاني تراجع مذهب المعتزلة وانحسار مَدّه ؛ ولا سيّما بعد إعلان أبي الحسن الأشعري في سنة (٣٣٠هـ) رجوعه عنه ، ومخالفته لشيخ المعتزلة في وقته أبي علي الجبَّائي الذي مكث الأشعري يتتلمذ على يديه أربعين سنة[3] . واستمر نجم المعتزلة في أفول مع تكاثر المؤيدين لمذهب أبي الحسن الأشعري ؛ كالباقلاني وأبي حامد الإسفراييني وابن فورك وأبي المعالي الجويني إمام الحرمين وأبي حامد الغزالي[4] ؛ بل و الراغب الأصفهاني نفسه ؛ حيث كان ينصر مذهب الأشاعرة في كتبه المختلفة ؛ حتى وصل الأمر في أوائل القرن الخامس الهجري إلى استتابة الخليفة العباسي القادر بالله فقهاء المعتزلة وإظهارهم الرجوع عن الاعتزال[5] .

ومن الواضح أن عصر الراغب الأصفهاني قد شهد ظهوراً واضحاً لمذهب الأشاعرة ؛ ولا سيّما مع تبنّي كثير من العلماء المبرزين له ، وتأييدهم إياه ؛ بل وتشنيعهم على مخالفيه[6] . ورغم ذلك فقد

---

[1] انظر : البداية والنهاية (٣٢٨/١١) .

[2] انظر : ظهر الإسلام ، لأحمد أمين (١٦١/١-٣١٠) .

[3] انظر : تاريخ الأدب العباسي (ص/١٧٩) .

[4] انظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ، ص(١٦) .

[5] انظر : البداية والنهاية (٧/١٢) .

[6] من ذلك ما وقع في سنة (٤٦٩هـ) حين قدم أبو نصر بن أبي القاسم القشيري بغداد ، فجلس يعظ الناس في المدرسة النظامية – التي بناها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه ، فقرر القشيري للناس مذهب الأشعري ونصره ، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصوفي ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الذي كان يتولى التدريس بالنظامية ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ، ويسأله المعونة عليهم ، وذهب أتباعه والمتعصبون له إلى شيخ الحنابلة في وقته أبي جعفر بن أبي موسى وهو في مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك ، وحرت بين الطائفتين أمور عظيمة . انظر : الكامل (١٢٤/٨) ، والبداية والنهاية (١٢٢/١٢) .

بقي لأهل السنة والجماعة أهل الأثر والإتباع للسلف الصالح مكانتهم المرموقة ، واحترام أولي الأمر من العلماء والحكام لهم ، وعدم قبولهم لطعن العامّة في مذهبهم .

المطلب الثاني :ولادته ، ونشأته ، ووفاته .

الراغب الأصفهاني علم مشهور بكنيته ولقبه ، وقد اختلف في اسمه على أقوال ؛ أصحّها وأشهرها أنّه : الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني ، وهو ما ذهب إليه الذهبي[1] والفيروز آبادي[2] ، وتبعهما في ذلك أكثر من ترجم للراغب [3] .

ويعاني كل باحث عن ترجمة حياة الراغب الأصفهاني من مشكلة قلّة المعلومات المتوفرة عنه إلى حد الندرة ؛ بل إن جميع المصادر التي ترجمت له – على قلتها – لا تذكر تاريخ ولادته ولا مكانها ، وإن كان يرجَّح أنه عاش في " أصفهان " التي يُنسب إليها . وتذكر " الموسوعة العربية الميسرة " أن الراغب عاش ببغداد ، وأن أصله من أصفهان[4] .

وقد يتساءل البعض عن السّر الكامن وراء ندرة الترجمة له ، والتجاهل الكبير الذي عُومِل به الراغب الأصفهاني ، وشُحِّ المعلومات المتعلقة بحياته ، وهذا يعود إلى سببين اثنين :

أوّلهما : أن عقيدته التي يؤمن بها تخالف عقيدة حُكّام عصره .

أما السبب الثاني : فهو أن الراغب لم يُوفَّق – فيما يبدو – إلى تلاميذ ينشرون علمه بين الناس ، ويكتبون عن شيخهم حياته وسمته وأخلاقه ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى انصرافه للتأليف ، وانشغاله بالتصنيف في العلوم المختلفة وعدم اهتمامه الكافي بمجالس الدرس التي يتحلّق فيها التلاميذ ، ومن هنا فقد زادت مصنفاته على العشرين ، وتنوَّعت فنونها ما بين اللغة والأدب والبلاغة والعقيدة والتفسير وعلوم القرآن والأخلاق والحكمة والسلوك ، وفي المقابل قلّ تلاميذه إلى درجة انعدام المبرزين منهم الذين يُشتهر أمرهم ، ويُشار إليهم بالبنان .

ويمكن أن نتلمَّس من خلال كتبه المختلفة شيئاً من الإشارات المعينة على معرفة شخصيته ، والتعرف على نشأته ؛ فمن ذلك :

---

[1] انظر : سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨) ، بتحقيق : شعيب الأرناؤوط .

[2] انظر : البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص/٩١) .

[3] انظر : الوافي والوفيات (٤٥/١٣) وكشف الظنون (٣١١/٥) ، وكنوز الأجداد لمحمد كرد علي (ص/٢٦٥) ، والأعلام للزركلي (٢٥٥/٢)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٥٩/٤) ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة د/ رمضان عبد التواب وآخر (٢٠٩/٥) .

[4] انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٨٥٤/٥) .

أن الراغب نشأ في بيئة صالحة تجلّ العلم ، وتُعلي من قدره ، وتتمسك بالأخلاق الرفيعة ، وهذه البيئة التي عاش فيها كانت منفتحة على العلوم المختلفة العقلية والنقلية[1]- وإن لم تسلم بيئته من شطحات المتصوِّفة التي ظهرت على بعض مؤلفاته ؛ كما في " الذريعة إلى مكارم الشريعة " ، و " تفصيل النشأتين وتحصل السعادتين " ؛ بل وفي تفسيره الذي بينْ أيدينا .

وقد كان للثقافة الفارسيّة تأثير كبير على الراغب ؛ حتى أنه كان يُترجم بعض عباراته في كتبه إلى الفارسيّة ؛ فمن ذلك قوله : " وشكر العبد لربِّه : هو معرفة نعمته ، وحفظ جوارحه بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي، ومعناه بالفارسيّة: أسبياس دارم خداي را، أي أنا حارس له على جوارحي"[2]. ويظهر أثر التدين وخشية الله تعالى واضحاً في شخصية الراغب الأصفهاني .

وحين يصل الباحث في حياة الراغب الأصفهاني إلى وفاته فإنه يصدم بالاضطراب الشديد في تحديد تاريخ وفاته ، إلى درجة أنه لا يمكن التوفيق بين الأقوال المتعارضة التي يصل الاختلاف بينها إلى قرنٍ كامل من الزمان ، ولا شك أنه في مثل هذه الحالة التي ينعدم فيها اليقين لا يستطيع الباحث أن يجزم بتاريخ يقطع بصحته ، وحينئذٍ تكثر الاجتهادات التي يجانبها الصواب في أحيان كثيرة ، ولا يبقى إلا التدقيق والتمحيص والاستقراء المتأني لكتب الراغب ، والاستناد إلى عبارة الذهبي التي تنص على أن الراغب الأصفهاني كان حيّاً في حدود سنة (٤٥٠هـ) يعدّ أقرب ما قيل في هذه القضية .

---

[1] انظر على سبيل المثال:(الذريعة إلى مكارم الشريعة)الصفحات (١٦٧ ، ١٦٩، ١٧٧، ١٨٣، ٢٣٢،٢٠٨، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٥٧) .

[2] انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص(٢٧٩) .

المبحث الثاني : حياته العلمية .

المطلب الأول : شيوخه .

ومن هذا الباب يُلاحظ أن الراغب كان في طلبه للعلم ذا نزعة منفتحة تميل للأخذ من كل علم بطرفٍ دون طلب الاستقصاء فيه ،وهذه النـــزعة جعلت الراغب موسوعيَّ الثقافة ، مساهماً في مجالات مختلفة من العلوم ؛ لغةً وأدباً وبلاغةً من جهة ، وعقيدةً وتفسيراً وأخلاقاً وسلوكاً من جهة أخرى ، وما ذاك إلا لأنه في مسيرته العلميّة وأثناء طلبه للعلم قد تنقل بين العلوم المختلفة .

وفيما يتعلق بشيوخه فيمكن أن يكون الراغب قد أخذ عن : أبي منصور الجبّان[1]، وأبي علي الخازن أحمد بن يعقوب بن مسكويه[2] ، وابن فورك الأصبهاني - لكونه معاصراً له ولكن في طبقة أقدم من طبقته [3] .

تلامذته : لا تشير المصادر التي بين يدي الباحثة في حياة الراغب الأصفهاني إلى أي معلومة تتعلق بتلاميذه، أو بأحد منهم ؛ ولذلك فإنه يتعذر إيراد أي اسم فيما يتعلق بتلاميذ الراغب الأصفهاني ، ويبدو أن انشغال الراغب بالتأليف قد أثّر عليه سلباً من حيث قلة التلاميذ النجباء الذين يتلقون عنه ، ويدرسون على يديه ، ولعلَّ من أسباب عزوف الراغب عن التدريس ومخالطة التلاميذ بكثرة : أنه لا يتفق في عقيدته مع حكام عصره من بني بويه - كما أسلفت - ؛ ولهذا فقد كان يكتفي بالتأليف صيانةً لنفسه ومعتقده[4].

المطلب الثاني :آثاره العلمية .

خلّف الراغب الأصفهاني تراثاً علميّاً جديراً بالاحترام والتقدير ، وقد ظهرت عناية المحققين من أهل العلم بمصنفاته ؛ فرأينا أبا حامد الغزالي يستحسن كتاب " الذريعة إلى مكارم الشريعة " ، ويحمله معه في أسفاره [5]، ورأينا الزركشي وأبا حيّان والطيبي والسمين الحلبي والبيضاوي والألوسي وغيرهم يكثرون من النقل عن تفسيره .

ويمكن أن نقسم البحث في الآثار العلميّة للراغب الأصفهاني إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : آثاره العلميّة المطبوعة .

النوع الثاني : آثاره العلميّة المخطوطة .

النوع الثالث : آثاره العلميّة المفقودة .

---

[1] انظر : مجمع البلاغة (٢/٧٣٦) ، والراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة ، ص(٣٤) .

[2] انظر : معجم الأدباء (٢/٤٩) .

[3] انظر : العبر للذهبي (٢/٢١٣) .

[4] انظر : تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق: عادل الشدي (١/٦٨).

[5] انظر : كشف الظنون (١/٨٢٧) .

النوع الأول : آثاره العلمية المطبوعة . ويندرج في هذا الإطار الكتب التالية :

١. رسالة في الاعتقاد .

٢. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين .

٣. الذريعة إلى مكارم الشريعة .

٤. مفردات ألفاظ القرآن .

٥. محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء .

٦. مجمع البلاغة ، وتسميه بعض المصادر " أفانين البلاغة " .

النوع الثاني : آثاره العلميّة المخطوطة .

١. رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم .

٢. رسالة في ذكر الواحد الأحد .

٣. رسالة في آداب مخالطة الناس .

٤. رسالة في مراتب العلوم .

٥. تفسير القرآن .

٦. تحقيق البيان عن تأويل القرآن [١].

٧. درّة التنـــزيل وغرّة التأويل.

النوع الثالث : آثاره العلميّة المفقودة .

١. أصول الاشتقاق : أشار إليه الراغب في كتابه " مفردات في ألفاظ القرآن "[٢] .

٢. تحقيق البيان في تأويل القرآن : أشار إليه الراغب في مقدمة كتاب " الذريعة إلى مكارم الشريعة " [٣] .

٣. الرسالة المنبهة على فوائد القرآن : أشار إليها الراغب في كتابه"مفردات في ألفاظ القرآن"[٤].

٤. رسالة مفردة لشرح حديث : " ستفترق أمتي " : أشار إليها الراغب في كتاب " الذريعة إلى مكارم الشريعة "[٥].

٥. عيون الأشعار : أشار إليها الراغب في مقدمة كتاب " محاضرات الأدباء ". [٦] وغيرها .

---

[١] انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ص(٥٨) ، حيث قال : " كنت قد أشرت في أمليته من كتاب (تحقيق البيان في تأويل القرآن) إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها " .

[٢] انظر : المفردات ، مادة :جدر ص(١٨٩) .

[٣] انظر : مقدمة " الذريعة إلى مكارم الشريعة " ص(٥٨) .

[٤] انظر : مقدمة المفردات ص(٥٣) .

[٥] انظر : مقدمة محاضرات الأدباء ص(٧/١) .

[٦] انظر : مقدمة محاضرات الأدباء ص(٧/١) .

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه .

١-قال عنه ظهير الدين البيهقي : " كان من حكماء الإسلام ، وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في مصنفاته .. وكان حظه من المعقولات أكثر "[١] .

٢-قال عنه الذهبي : " العلاّمة الماهر ، والمحقق الباهر ، كان من أذكياء المتكلمين "[٢] .

٣-وذكر فخر الدين الرازي : أن الراغب من أئمة السُنَّة ، وقرنه بالغزالي [٣] .

٤-وقال السيوطي : " وقد كان في ظنّي أن الراغب معتزلي ؛ حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من (القواعد الصغرى) لابن عبد السلام ما نصّه : ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول: أن أبا القاسم الراغب من أئمة السُّنة ، وقرنه بالغزالي ، وهي فائدة حسنة ، فإن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي " [٤].

---

[١] انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص(١١٢) .

[٢] انظر : سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨، ١٢١) .

[٣] انظر : أساس التقديس ص(١٧) .

[٤] انظر : بغية الوعاة ص(٢٩٧/٢) .

المبحث الثالث : كتابه " تفسير القرآن العظيم " وفيه مطلبان:

المطلب الأول : صحة نسبة الكتاب وأهميته .

يمكن القطع بصحة نسبة هذا التفسير للراغب الأصفهاني لأدلة كثيرة ؛ هي :

أولاً : اطلاع مجموعة من الأئمة عليه وإثباتهم نسبته للراغب الأصفهاني ؛ فمن هؤلاء :

١-الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) : صاحب " البلغة في تاريخ أئمة اللغة "حيث قال:" الإمام أبو بكر القاسم الراغب الأصفهاني .. له التفسير الكبير في عشرة أسفار ، غاية في التحقيق ، وله المفردات لا نظير لها في معناها "[١] .

٢-الإمام الزركشي (٧٩٤هـ): صاحب " البرهان في علوم القرآن " ، وقد ذكر ما يفيد اطلاعه على تفسيره وصحة نسبته عنده إلى الراغب الأصفهاني فقال : " ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة : (الظنّ) أعمّ ألفاظ الشك واليقين ، وهو اسم لما حصل عن أمارة .. "[٢] .

ثانياً : نقل مجموعة من المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني وتصريحاتهم بالنقل عنهم ، وبالرجوع إلى التفسير الذي بين أيدينا نجد التطابق ؛ فمن هؤلاء على سبيل المثال :

- الإمام أبو حيّان المتوفّى سنة (٧٥٤هـ) صاحب تفسير " البحر المحيط " ؛ حيث نقل عن الراغب الأصفهاني في أكثر من خمسة مواضع في تفسيره لسورة النساء [٣] .

ومن أمثلة ذلك : قال أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى :﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾[٤] ما نصه:"قال الراغب:كل ما يستحسنه العقل ويعترف به معروفٌ..."[٥] .

وهذا الكلام موجود بنصه في تفسير الراغب لهذه الآية من سورة النساء .

ثالثاً : النسبة الصريحة إلى أبي القاسم الراغب في أوّل ورقة من مخطوط تفسير الراغب الذي بين أيدينا ؛ حيث جاء فيها ما نصه : " قال الشيخ أبو القاسم الراغب – رحمه الله – : القصد من هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر ، ووقانا نوب الدهر ، وهو مرجو أن يسعفنا بالأمرين .. "[٦] .

---

[١] انظر : البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص(٩١) .

[٢] انظر : البرهان في علوم القرآن (١٣٩/٤) .

[٣] وقد أثبت هذه النقول أثناء التحقيق في مواضعها من التفسير .

[٤] سورة النساء آية (١١٤) .

[٥] انظر : تفسير أبي حيّان (٣٦٥/٣) .

[٦] انظر : مخطوط تفسير الراغب برقم [٢١٢] مكتبة أيا صوفيا ق١ ، ونسخة أخرى برقم [١٧١] مكتبة أيا صوفيا بعنوان " تفسير القرآن " ق١، ومقدمة جامع التفاسير للراغب ، تحقيق د/ أحمد سيد فرحات ص(٢٧) .

رابعاً : إحالة الراغب الأصفهاني في تفسيره الذي بين أيدينا على كتاب آخر له مقطوع بصحة نسبته إليه؛ ألا وهو"الذريعة إلى مكارم الشريعة"؛حيث تطابق تعريفه للإيمان والإحسان ولفظة (البر)[1].

خامساً :تطابُقُ كثير من مواضع هذا التفسيرْ المخطوط مع مواضع من كتاب " مفردات ألفاظ القرآن " المقطوع بنسبته للراغب الأصفهاني ، وأورد للدلالة على ذلك هذا المثال التالي :

في كتابه "المفردات" قال الراغب عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾[2]: "النجوى والنجاة : أي الخلاص منها ؛ لكونه الملتجي إليها ناجياً عن السبيل . ويقال : هو في مضية وتلفه من النوب".وبالرجوع إلى "المفردات" في مادة (نجوى) وجدت نفس المعنى وبألفاظ متقاربة[3] .

ويستمدُّ كل كتاب أهميته -بالدرجة الأولى- من أهميّة مؤلفه وشهرته في فنّه ، وتلقي العلماء مؤلفاته بالقبول ، ولا تكاد تخلو مكتبة طالب علم – ولا سيّما في مجال التفسير – من كتاب " مفردات ألفاظ القرآن " للراغب الأصفهاني ؛ وذلك لشموله وتبحّر مؤلفه .

وقد قابل ذلك الاختصار المطلوب في كتابه " المفردات " بإطناب وتوسع مطلوب أيضاً في تفسيره الذي بين أيدينا . ومما يؤكد أهميّة هذا التفسير ما يلي :

١-تبحّر الراغب الأصفهاني في علوم البلاغة والنحو والاشتقاق والمعاني ، وقد ضمّن تفسيره خلاصة خبرته ودرايته بهذه العلوم بتوسُّع وإطناب ، وكان مسلكه بعد إيراد الآية العناية بالألفاظ فيرجعها إلى أصولها اللغويّة التي اشتقت منها ، ويستدل على ذلك بطريقة متميزة .

٢-إكثار الراغب الأصفهاني في تفسيره من النقل عن أئمة اللغة ومجموعة من المفسرين الذين تعتبر كتبهم في حكم المفقودة ؛ مما يجعل تفسير الراغب مصدراً مهمّاً للباحثين الذين يريدون توثيق أقوال أولئك المفسرين.

٣-يحتوي تفسير الراغب على جملة طيبة من الفوائد والنكت واللطائف التفسيرية .

٤- أن تفسير الراغب الأصفهاني لم يُحقق ويُطبع قبل ذلك ؛ بل ظل حبيس المكتبات مخطوطاً[4]، في حين أن الجهد الذي بذله مؤلفه يفوق جهده في كتابه"المفردات"على أهميته.

---

[1] انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ص(٢١٠/٢١٢) .

[2] سورة النساء آية (١١٤) .

[3] انظر : المفردات مادة : نجوى ص٤٨٦ .

[4] باستثناء تحقيق د/ أحمد فرحات لمقدمة التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأول خمس آيات من سورة البقرة، وقد صدر ذلك في كتاب عنوانه"مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة".وتحقيق الدكتور: عادل الشدي لسورتي آل عمران وجزء من النساء .

المطلب الثاني : منهج الراغب – رحمة الله عليه – في تفسيره

تعد الركيزة الأولى في دراسة المنهج معرفة مصادر المؤلف ؛ وهي على نوعين :

النوع الأول : المصادر العامة ؛ ومن أهمها :

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن اشتهر بالتصنيف والتأليف في هذا المجال ، وأقوال الأئمة العلماء والفقهاء واللغويين والنحاة ، ومصادر الراغب الغزيرة في علم القراءات وأسباب النـــزول والفقه وغيرها ، ومعرفته بأقوال الأدباء والحكماء والمتصوفة وغيرها من الفرق العقدية ، ويكمل رصيده العلمي بمعرفته الأمثال العربية والأقوال المأثورة.

والنوع الثاني : المصادر الخاصة ؛ وأهمها:

١- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـــ) .

٢- معاني القرآن للأخفش (ت٢١٠هـــ) .

٣- معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـــ) .

٤- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـــ) .

٥- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـــ) .

٦- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت٢٠٩هـــ) .

٧- معاني القرآن للزجاج (ت٣١١هـــ) .

٨- الكتاب لسيبويه (ت١٨٨هـــ) .

٩- المبرد (ت٢٨٥هـــ) .

١٠- كتاب الفروق لأبي هلال العسكري(ت٤٠٠هـــ) .

١١- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـــ) .

١٢- تفسير الجبَّائي (ت٣٠٣هـــ) .

١٣- تفسير ابن بحر (ت٣٢٢هـــ) .

١٤- تفسير الأصم (ت٢٠٠هـــ) .

وهناك كثير من النقول التي لم أستطع تحديد المصادر فيها ؛ منها :

١- أبو القاسم البلخي .

١- الكسائي .

٢- أبو حنيفة .

٣- الشافعي .

٤- أبو مالك .

٥- سليمان بن موسى .

٦ - محمد بن كعب القرظي .

وإذا تأملنا في تفسير الراغب أمكن القول بأنه من أقسام التفسير بالرأي الجائز ؛ لأنه وإن احتوى على خصال التفسير بالمأثور من تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين ، إلا أنه سار على قوانين اللغة ، غير مائلٍ إلى المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة ، كما أنه التزم ببقية العلوم المساعدة للمفسر المخرجة له عن كونه مفسراً بالرأي المذموم .

ويمكن تلخيص منهجه في سبعة محاور :

المحور الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

وهناك بعض الأمثلة على ذلك ؛ كحمل المطلق على المقيد ؛ كتفسير الكلمة القرآنية بآية قرآنية، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾[1] قال:"والدم ههنا هو الدم المسفوح ؛ بدلالة قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾[2] الآية، تعرف بالآية الدم .

القراءات في تفسير الراغب :

كان اهتمام الراغب الأصفهاني بالقراءات من جانب (الدراية) ، أما جانب (الرواية) فلم يعتن به عند ذكر القراءات ، ومنهجه في ذلك :

١- أنه لم يحدد طريقته في التعامل مع القراءات المختلفة من حيث القبول والرد .

٢- كان اهتمامه بالقراءات منصبّاً على جانب التعليل والتوجيه دون الاهتمام بثبوت القراءة من عدمه .

٣- لم يُشِرْ إلى مصادره في القراءات .

٤- لم يُشِرْ إلى صاحب القراءة إلا نادراً .

٥- يورد القراءات المتواترة والشاذة معاً دون تفرقة .

٦- أكثر من ذكر القراءات الشاذة دون التنبيه على شذوذها .

ومع ذلك فقد برع الراغب في الاستفادة من القراءات بما يخدم جانب التفسير . مثال ذلك :

- اختلاف المعنى لاختلاف القراءة :

عند قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[3] قال الراغب : "وقرأ ﴿ يَوْمُ ﴾ بالرفع ... فيكون الإشارة إلى اليوم ، فإذا نصب فإشارة إلى ما في اليوم .... .

---

[1] سورة المائدة آية (٣) .

[2] سورة الأنعام آية (١٤٥) .

[3] سورة المائدة آية (١١٩) .

المحور الثاني : السنة النبوية في تفسير الراغب .

وعنايته بهذا الجانب كانت محدودة بالنظر إلى عنايته بالقرآن واللغة ، ولعل السبب في ذلك - فيما أعلم - هو أن الراغب لم يُوْلِ جانب الرواية ذاك الاهتمام الذي أولاه جانب الدراية ، وقد ظهر هذا الضعف في جانب الحديث النبوي من خلال :

- عدم عناية الراغب بالإسناد .
- عدم ذكر رواة الأحاديث عن النبي ﷺ من الصحابة غالباً .
- عدم تحرِّي الدقة في عزو الأقوال إلى النبي ﷺ ؛ ولذلك كثر استشهاد الراغب بالأحاديث الضعيفة والموضوعة .
- رفع الأحاديث الموقوفة والأقوال المقطوعة ونسبتها إلى النبي ﷺ .
- عدم الإشارة إلى أيّ مصدر من مصادر السنة التي خرَّجت الحديث .
- عدم نقل كلام نُقّاد الحديث في التصحيح والتضعيف .
- إدخال بعض الأحاديث في بعض - أحياناً - وجعلها حديثاً واحداً .
- رواية الأحاديث بالمعنى ،وعدم التقيد باللفظ .

ولكن الراغب نجح من خلال ما أورده من أحاديث في خدمة التفسير ؛ كما عند تفسيره لمعنى العدل بين النساء في قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [1] قال النبي ﷺ : (اللهم إني أعدل فيما أعدل ، وأستغفرك فيما لا أملك ....)[2] .

وذكر الراغب أن علم أسباب النـــزول من ضمن العلوم التي ينبغي على المفسر معرفتها والإلمام بها [3]، ويتضح منهج الراغب في أسباب النـــزول من خلال الآتي :

١- لم يهتم بأسباب النـــزول من ناحية الرواية ؛ فلم يذكر أسانيد الروايات التي ذكرها في أسباب النـــزول ، ولم يفرِّق بين ماصح وما لم يصح من هذه الأسباب ، وهذا حكم عام في كل ما يتعلق بالرواية والإسناد .

٢- غالباً ما يشير إلى تعدد الأقوال في سبب النـــزول ، وقد يرجح أحدها ،ويميل إلى أن يفسر الآية تفسيراً عاماً ؛ كما في هذا المثال :

---

[1] سورة النساء آية (١٢٩) .

[2] لم أقف على لفظ المؤلف ، ونص الحديث : " هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك " وهو مخرج من طرقين : والأول: من رواية أبي قلابه مرسلاً، أخرجه الترمذي في النكاح في عقب الحديث (١١٤٠) ، وقال : هذا الإرسال أصح من حديث حماد. والطريق الثانية : عن عائشة رضي الله عنها ، رواه أحمد في مسنده (١٤٤/٦) قال الحاكم في المستدرك (١٨٧/٢) : صحيح على شرط مسلم .

[3] انظر . مقدمة جامع التفسير (٩٥) .

• عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] ، قال : " قيل: السبب في نزول هذه الآية : أن النبي ﷺ كان يهاب قريشاً فأنزل الله ذلك ، فجعل يضرب برأسه حتى انتثر دماغه "[2].

المحور الثالث : أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الراغب .

عند تفسيره لمعنى الإناث في قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾[3] قال الراغب : " قال أبو مالك والسدي وابن زيد : الإناث : اللات والعزى . وقال ابن عباس وقتادة : على الأموات . وقال الضحاك : هي الملائكة يزعمون أنها بنات الله ".

المحور الرابع : العربية في تفسير الراغب .

نجد أن الراغب قد اعتنى باللغة العربية – ولا غرابة في ذلك فهي لغة القرآن الكريم – ، ويمكن معرفة مدى العناية التي أولاها الراغب للعربية من خلال تفسيره للآيات القرآنية ، وأذكر على سبيل المثال :

أولاً : بيانه للمفردات القرآنية .

قد اعتنى الراغب بالمفردات القرآنية ، وقد ألف في ذلك كتاباً لا يخفى على أحد ، ونجده يتناول الآية مبتدئاً بذكر المفردات اللغوية للكلمة القرآنية ؛ ومن ذلك : عند قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾[4] الآية ، قال : "النجوى: الحديث الذي تفرد به اثنان فصاعداً، أو للقوم المتناجين".

ثانياً : عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾[5] قال : "وأصل ذلك من النجوة والنجاة : أي الخلاص منها ؛ لكون الملتجئ إليها ناجياً عن السبيل" .

---

[1] سورة المائدة آية (٦٧) .

[2] أخرجه الطبري في جامع البيان(٣٠٨/٦)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٢٦/٢) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقصة غوث بن الحارث مشهورة في الصحاح ؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ، باب : من علق سيفه بالشجرة في السفر عند القائلة (٢٩١٠) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الخوف رقم (٣١٢) .

[3] سورة النساء آية (١١٧) .

[4] سورة النساء آية (١١٤) .

[5] سورة النساء آية (١١٤) .

ثالثاً : عنايته بالفروق اللغوية .

عند تفسير قوله : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1] قال : "قيل: الصنع أخص من العمل ؛ كما أن العمل أخص من الفعل ؛ وذلك أن الفعل يقال فيما كان من الحيوان وغير الحيوان ، وبقصد وبغير قصد ، والعمل لا يكون إلا من الحيوان وبقصد ، والصنع لا يكون إلا من الإنسان بقصد" .

رابعاً : عنايته بالتعليل اللغوي .

- تعليل التقديم والتأخير: كما عند قوله:﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[2] قال: "إن قيل: لم أخر الإيمان عن الشكر ؟ قيل : لأنه عني به معرفة النعمة التي يتوصل بها إلى معرفة المنعم" .

- تعليل التكرار : عند قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[3] قال الراغب : وأعاد قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثلاث مرات لثلاثة معانٍ " .

خامساً : عنايته بالنحو والإعراب .

- يوضح المعنى القرآني من خلال الإعراب : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4] قال:"في قوله:﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ وجهان:أحدهما : أن يكون في موضع مفعول (وعد الله) ... والثاني : أن مفعول (وعد) محذوف ".

سادساً : عنايته بالبلاغة .

- أسلوب الاستجواب : نجد الراغب كثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب في عرضه لتفسير الآيات القرآنية ؛ من ذلك : عند قوله تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[5] قال الراغب: " إن قيل: ما وجه فائدة قوله تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ بعد قوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ؟ قيل: لما بيَّن تعالى أنه أكمل دينهم ؛ بيَّن بعد أن ذلك الدين هو الإسلام " .

- الجمع والتثنية : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[6] قال الراغب : " وإنما ذكر الأيدي بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية ...." .

---

[1] سورة المائدة آية (٦٣) .

[2] سورة النساء آية (١٤٧) .

[3] سورة النساء آية (١٣١) .

[4] سورة المائدة آية (٩) .

[5] سورة المائدة آية (٣) .

[6] سورة المائدة آية (٣٨) .

المحور الخامس : مجالات النظر في تفسير الراغب .

للعقل مجالات متعددة نجد الراغب يتبحر فيها ، ويستنبط منها معاني كثيرة في تفسير الآيات القرآنية، وكل ذلك ناتج عن التدبر والتفكر في آيات الله تعالى .

وأجمل الحديث عن ذلك فيما يلي :

- مكانة العقل في تفسير الراغب : يقول الراغب : " لله - عزوجل - إلى خلقه رسولان : أحدهما : من الباطن وهو العقل ، والثاني : من الظاهر وهو الرسول[1] ". ونجد ذلك في تفسيره أيضاً لمعنى كلمة(المعروف)عند قوله تعالى:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾[2] قال: "لكل ما يستحسنه العقل ويعترف به يقال له : معروفٌ " .

- نظره في حكمة الترتيب (وهو ما يسمى عند المفسرين : مناسبة الآية لما قبلها ، وربط الآيات لبيان الحكمة من ذلك ، وهو أسنى في فهم الآيات": ومن ذلك : عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾[3] قال الراغب: "كما بين في الآية الأولى حكم من فرق بين بعض الأنبياء وبعضهم بيَّن حكم من خالفه .... " .

- قدرته على السَّبْر والتقسيم : ومما يدل على نبوغ الراغب: غزارة علمه وقدرته على بسط الأفكار والمعلومات تسهيلاً لطالب العلم ؛ فإنه كثيراً ما يعرج على تقسيم وتنظيم الأفكار في عبارات دقيقة مؤدية إلى الغرض المطلوب دون إفراط أو تفريط ؛ ومن ذلك : عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[4] قال الراغب: "والعقود باعتبار المعقود ثلاثة أضرب : عقد بين الله وبين العبد ، وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بينه وبين غيره من البشر ، وكل واحد باعتبار الموجب له ضربان : ضرب أوجبه العقل ؛ وهو ما ركز الله تعالى بمعرفته في الإنسان فيتوصل إليه ... وضرب أوجبه الشرع ؛ وهو ما دلنا عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فذلك ستة أضرب ".

المحور السادس : مسائل العقيدة في تفسير الراغب .

ولقد احترت كثيراً في عقيدة الراغب-رحمه الله-،وقد وجدته في بعض المسائل العقيدية متردداً؛ فهو تارة على مذهب السلف الصالح ، وتارة على مذهب المخالفين لهم ، ولعل هذا يعود إلى أنه نقل عن شيوخه ، وهؤلاء منهم من هو سلفي ، ومنهم من هو معتزلي ، ومنهم من هو أشعري ، والذي يتجلى أنه أشعري المذهب .

---

[1] انظر : الذريعة ص(٢٠٧) .

[2] سورة النساء آية (١١٤) .

[3] سورة النساء آية (١٥٢) .

[4] سورة المائدة آية (١) .

وقد سار على بعض أصول المعتزلة :

أولاً : في الوعد والوعيد :

وأصل الوعد والوعيد عندهم متفرع عن أصل العدل ؛ إذ تقتضي العدالة الإلهية أن تثيب الأخيار، وأن تعاقب الأشرار ، ويمكن تلخيص النظرة الاعتزالية إلى اليوم الآخر أنه استحقاق وأعواض[1].

قال شارح الطحاوية : ((وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به النبي ﷺ .... ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة لما تضمنتا هذا الأصل لهما شأن عظيم ليس لغيرهما)).[2] والله سبحانه وتعالى لا موجب له من خلقه .

ثانياً : عقيدته في أفعال العباد : يرى أنها مخلوقة لهم وليست لله ، ويتضح ذلك من قوله : " ومنفعل من وجه ، وفاعل من وجه ، وهو الإنسان ، فبالإضافة إلى الله منفعل ، وبالإضافة إلى مصنوعاته فاعل .

قال شارح الطحاوية : " فالحاصل : أن فعل العبد فعل له حقيقة ؛ ولكنه مخلوق لله تعالى ؛ ومفعول لله تعالى ليس هو نفس فعل الله ، ففرق بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ -رحمه الله- بقوله : وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد. أثبت للعباد فعلاً وكسباً وأضاف الخلق لله تعالى" [3].

وقد قسم الراغب الكفر إلى قسمين فقال:" قيل : الكفر يقال على من بيَّن كفر كبيرٌ ، وهو المذكور في قوله : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾[4] ، وكفر صغير ، وهو المذكور في قوله ﷺ : (من ترك الصلوات فقد كفر) ". قال: "وعلى هذا قول ابن جريج : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ....". ونجد قصور عبارة الراغب في تقسيم الكفر إلى أصغر وحصره في إنكار الوحدانية أو ما يجري مجراه ؛ فإن الذي ذكره هو نوع من أنواع الكفر الأكبر ، قال ابن القيم : ((وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع:كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع تصديق، وكفر إعراض، وكفر شك ، وكفر نفاق))[5].

---

[1] انظر : علم الكلام دراسة فلسفية (١٥٧/١) .

[2] انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٩٩) ، والملل والنحل (٥٧/١) .

[3] انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٩٩) ، والملل والنحل (٥٧/١) .

[4] سورة النساء آية (١٣٦) .

[5] انظر : مدراج السالكين (٣٦٤/١) .

المحور السابع : مسائل الفقه في تفسير الراغب .

لقد تعرض الراغب في تفسيره لكثير من المسائل الفقهية ، ويعرض فيها أقوال الفقهاء من المذهب الشافعي وكثيراً ما ينتصر له .

فعند قوله تعالى:﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[1] ذكر أقوال المفسرين ثم قال : "وحمل الفقهاء ذلك على الحكم ، وقالت الشافعية : الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ، قالوا : أمر يقتضي ذلك أن لا يملك الكافر عبداً مسلماً ولا يصح شراؤه ، واقتضى أن لا يقتل مؤمن بكافر ، واستدلت الحنفية على من ارتد انقطعت العصمة بينه وبين امرأته قبل انقضاء العدة ؛ فلا يكون إليها سبيل" .

---

[1] سورة النساء آية (١٤١) .

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات محمد ذي الكمالات، وآله وصحبه ما أشرقت بنور ربها قلوب المؤمنين والمؤمنات .

وبعـــــــــد :

فهذا ما يسره الله لي وأعانني عليه ، ولعلي أكون قد اطلعت على ألوان مختلفة ومتباينة في حياة الراغب ومنهجيته في التأليف ، وقدرته على السبر والتقسيم ، وتبحره اللغوي والنحوي الذي يوحي بدراسة لشواهده الشعرية على غرار شواهد القرطبي ، وكشفت الستار عن غموض عقيدته وتأويله بعض صفات الخالق –عزوجل– بطرق عقلية وفلسفية، وتأثره بعلماء عصره من أئمة المعتزلة والأشاعرة ؛ مما يستلزم القيام بدراسة منهجية لكتابه "المفردات"؛ خاصة أنه متداول بين مختلف المراحل التعليمية . كما لا يفوتني الإشارة إلى ميله لآراء الشافعية ، وبراعته في النقد والتوجيه ، والإتيان بالحجة والبرهان . وحسبي بهذا العمل المتواضع إثراء المكتبة الإسلامية ، فإن سلم البحث فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى فذاك جهد المقل ، وطاقة الناشئ الذي لا يزال يرقب أملاً فسيحاً .

هذا .. ولا يفوتني أن أعتذر إلى كل من يقرأ بحثي عما يكون فيه من أخطاء لا تخفى على فطنة قارئه ، ولا تدق عن إدراكه ، فإن مرّ بها فرجائي إليه أن يلتمس لها عذراً ، وأن يصححها مشكوراً ، وتلك شكيمة الكرام أهل الخلق الطاهر، والأدب الحميد، وألا يكون ممن قال فيهم الشاعر :

فإن رأوا زلة طاروا بها فرحاً عني وما وجدوا من صالح دفنوا

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن يحقق لي به ما تصبو إليه نفسي ، وتسمو إليه همتي ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أساس إلتقديس . الرازي ، تحقيق : الدكتور / أحمد حجازي السقا ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- الأعلام . خير الدين الزركلي ، بيروت ، دار العلم للملايين ،ط٦ ، ١٩٨٤م .
- البداية والنهاية . عماد الدين ابن كثير ، تحقيق :د/ أحمد أبو ملحم وآخرين ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٧م .
- البرهان في علوم القرآن . بدر الدين الزركشي ، تعليق : مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق :محمد المصري، الكويت : جمعة إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- الذريعة إلى مكارم الشريعة . الراغب الأصفهاني ، تحقيق :د/ أبو اليزيد العجمي ، أبو يزيد العجمي، القاهرة ، دار الصحوة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م .
- الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب . د/ عمر السارسي ، ط١، مكتبة الأقصى ، الأردن .
- العبر في أحوال من غبر . شمس الدين الذهبي ، تحقيق: محمد السعيد البسيوني ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الكامل . محمد ين يزيد المبرد ، تحقيق: محمد الدالي ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- الملل والنحل . للشهرستاني ، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- الموسوعة العربية الموسعة . دار القلم ، مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- الوافي بالوفيات . صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، ألمانيا ، دار النشر ، فرانزر — شتايز يغيسيادن ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لجلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، المكتبة المصرية ، بدون تاريخ .
- تاريخ الأدب العباسي .
- تاريخ الأدب العربي . لعادل بروكلمان ، ترجمة: د/ رمضان عبد التواب ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٣ ، بدون تاريخ .

- تاريخ حكماء الإسلام . نشر وتحقيق: محمد كرد علي ، دمشق ، ١٩٤٦هـ .
- تفسير الراغب الأصفهاني . دراسة وتحقيق: عادل الشدي ، جامعة أم القرى .
- سير أعلام النبلاء . شمس الدين الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- شرح العقيدة الطحاوية . لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق: جماعة من العلماء ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٩ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- في علم الكلام دراسة فلسفية . د. أحمد محمود صبحي ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، بدون ط .
- كشف الظنون . حاجي خليفة ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- كنوز الأجداد . محمد كرد علي ، دمشق ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- مجمع البلاغة . للراغب الأصفهاني ، تحقيق: عمر عبد الرحمن السارسي ، عمان ، مكتبة الأقصى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . الراغب الأصفهاني ، بيروت ، مكتبة الحياة ، بدون تاريخ .
- معجم المؤلفين . عمر رضا كالة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ .
- مفردات ألفاظ القرآن . للراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط : محمد خليل عيناني ، بيروت ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- مقدمة جامع التفسير . للراغب الأصفهاني ، تحقيق: د/ أحمد حسن فرحان ، الكويت ، دار الدعوة، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .
- مسند الإمام أحمد . لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، توزيع دار الباز ، مكة ، بدون تأريخ وطبع .
- صحيح البخاري . محمد بن إسماعيل البخاري ، القاهرة ، المكتبة السلفية ، ط/٣ .
- صحيح مسلم . أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، دار الحديث ، ط/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- المستدرك على الصحيحين . للحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط/ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

الفهرس التفصيلي

المقدمة ٢-٣

المبحث الأول : عصر الراغب الأصفهاني ونشأته . فيه مطلبان :..... ٤-٧

المطلب الأول : العصر الذي عاش فيه ٤-٥

المطلب الثاني : ولادته ونشأته ووفاته ٦-٧

المبحث الثاني : حياته العلمية . وفيه ثلاثة مطالب :..... ٨

المطلب الأول : شيوخه وتلاميذه ٨

المطلب الثاني : آثاره العلمية ٨-٩

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه ١٠

المبحث الثالث : كتابه " تفسير القرآن العظيم ". وفيه مطلبان :..... ١١-٢٠

المطلب الأول : صحة نسبة الكتاب وأهميته ١١-١٢

المطلب الثاني : منهجه في الكتاب ١٣-٢٠

الخاتمة ٢١

فهرس المصادر والمراجع ٢٢-٢٣

الفهرس التفصيلي ٢٤